ترجمـــــــــــــــات |
مـن العـــدد ٣١ | ربيع الاول | كانون الثاني | ٢٠١٥

سايجون تسقط مرة أخرى في بغـــــداد
إني أعلـم مـا تعنيـه كلمـة سقـــــوط مدينة, فقـد كنـت هنـــــــاك

بيترآرنـــــــــــــيت

ترجمة: المعهد العراقي للحوار

سايجون تسقط مرة أخرى في بغدادإني أعلم ما تعنيه كلمة سقوط مدينة, فقد كنت هناك

بيتر آرنيت

ترجمة: المعهد العراقي للحوار

استيقظتُ فزِعاً على أصوات الصواريخ في ساعة مبكرة من صباح يوم ثلاثاء يشوبه ضباب في مدينة سايجون.

ذهبت إلى أعلى سطح الفندق فوجدت مطار المدينة يعج بكرات نار ودخان وحطام, فبعدما كان من أكثر مطارات العالم انشغالاً، أصبح الآن مغلقاً مع آلاف الناس بداخله ينتظرون الإخلاء.

وعندما لاح الفجر هرع الناس إلى سطوح المباني محدّقين بدهشة إلى الهجوم الوحشي لقنابر الهاون على المدينة.

حاولت طائرتان عسكريتان التحليق والهروب من الصواريخ التي غطت سماء المدينة إلا أن الحظ لم يحالفهما وسقطتا مبعثرات على البيوت. بعد مضي ٢٤ ساعة أصبحت المدينة في فوضى عارمة بينما تولى نظام حكم جديد قيادة الدولة في أبريل من عام ١٩٧٥.

قد يكون هذا هو القدر الذي ينتظر بغداد في حال استمر تجحفل داعش. حيث احتل المخربون السنة أغلب مناطق شمال العراق (وهي نفس المناطق التي كان الفيتكونغ يسيطرون عليها) وهم يتجهون نحو الجنوب. فإن وصلوا إلى المدينة, فإن ما رأيته في سايجون قبل أربعين عاماً قد يكون مثالا جيداً

لما يمكن توقعه.

وكان المشهد كما يلي:

كنت من بين مجموعة من الصحفيين الذين شهدنا نهاية بلاد اعتبرت فيما سبق جوهرية لأمن الولايات المتحدة.

أنفق خمسة رؤساء من الولايات المتحدة مليارات الدولارات على الموارد وضحوا بحياة آلاف الجنود في الصراع (هل هذا مألوف؟) مع الشمال الشيوعي. وكان سقوط المدينة أمر لا يمكن تخيله.

في جنوب الفيتنام وفي آخر أيام كانت عجلات القوات الأميركية المهجورة تملئ الشوارع والشواطئ بينما هرب الجنود الفيتناميون من جبهات القتال سيراً على الأقدام, وترك بعض الضباط مواقعهم مستخدمين المروحيات إلى بر الأمان على السفن الأميركية القريبة من السواحل.

في العراق جيش آخر مدرب أمريكياً هرب قبل أن يستولي المخربون على المدن في شمال وغرب العراق.

فهم أيضاً هربوا بعجلات وملابس وأسلحة أمريكية.

بالطبع يختلف جنوب الفيتنام عن العراق, فقد استخدمت واشنطن قوتها العسكرية للإبقاء على أحدهما منقسماً شكلياً والآخر موحداً شكلياً أيضاً.

حيث تتشارك سايجون عام ١٩٧٥ مع بغداد ٢٠١٤ هشاشة الاعتماد على القوة الأميركية.

وكل منهما انكسر مثل قشرة البيض في أول اختبار حقيقي له. في مارس ١٩٧٥, أدى سقوط مدينتي هيو ودانانغ إلى توقع هزيمة الجيش والتي أدت بدورها إلى سقوط العاصمة سايجون بعد ستة أسابيع فقط.

وفي العراق جاء سقوط مدينتي الموصل وتكريت بداعش على أبواب

العاصمة,خالقين اضطرابات طائفية في المدينة ومهددين مستقبل بغداد.

ناشد كل من رؤساء الدولتين الدعم الجوي الأميركي ولكن دون جدوى.

في مارس عام ١٩٧٥, أرسل رئيس جنوب الفيتنام إنجيون فان ثيو قائمة مفصلة عن أهداف القصف إلى البيت الأبيض وطالب بالاتفاقيات الخاصة التي عقدها الرئيس السابق ريتشارد نيكسون والتي تضمن الدعم الأميركي.

إلا أن الرئيس جيرالد فورد رفض طلبه.

بشكل مشابه بدأ رئيس الوزراء العراق نوري المالكي يناشد بشكل علني وخاص طالبا الدعم الأميركي الجوي بعد سقوط الموصل وتكريت. بالمقابل,طالب الرئيس أوباما بإصلاحات سياسية جوهرية في بغداد.

إن كره المالكي للعمل مع منافسيه السياسيين يشبه إلى حد كبير رفض الرئيس ثيو في توسيع حكومته أو النظر في إستيعاب منافسيه السياسيين. في نهاية المطاف, ترك ثيو منصبه بحَثٍ من الولايات المتحدة وهرب من البلاد بعد عشرة أيام من سقوطها. لذا, فإن أوباما قد يترك حليفاً أمريكياً آخر يواجه مصيره.

إن موقف واشنطن تجاه العراق يشابه موقفها في الأيام الأخيرة لسايجون. بحلول عام ١٩٧٥, رفض الكونغرس والشعب الأمريكي بقوة تقديم أي دعم مالي أو عسكري إلى جنوب الفيتنام.

وأكد فورد بأن أي نشاط عسكري أمريكي سيكون فقط لإنقاذ حياة الموظفين الأميركيين. اليوم, ترفض غالبية الشعب الأميركي التدخل في العراق أيضا. فعلى الرغم من أن أوباما قد قدّم ٣٠٠ مستشارا عسكريا إلى بغداد إلا أنه لا يملك الدعم الكافي لاستكمال العمل.

ففي كل من البلدين, انهارت طموحات أمريكا في إعادة رسم العالم بسبب

الجماعات التخريبية.

بالطبع هناك اختلافات جوهرية تفصل الفيتنام والعراق. فظهور فيتنام الشيوعية في نهاية المطاف لم يهدد الولايات المتحدة. أما اليوم, فهانوي قلقة بشأن التوسع الصيني أكثر من الإمبريالية الأميركية بحيث دعت البحرية الأميركية إلى العودة إلى قاعدتها البحرية في خليج كام رانه.

على نقيض ذلك, هناك ثلاث فئات في العراق, الشيعة والسنة والكرد, تريد الاستقلال عن بعضها البعض ولا يريد أي منهم العيش ضمن الحدود القديمة التي صممها الدبلوماسيون الأوروبيون قبل ١٠٠ عام.

ربما تريدهم الولايات المتحدة متحدين لأسباب استقرار إقليمية, إلا أن القوة الأميركية قد تثبت أنها غير قادرة على توحيدهم, عكس ما قامت به في فيتنام.

علاوة على ذلك, تكن بعض الفئات العراقية العنف تجاه الولايات المتحدة,وعليه فقد ينتهي الأمر بالعراق كما حصل مع يوغسلافيا عام ١٩٩٠ بعد أعوام من العنف والاضطراب والتطهير العرقي.